

## الباب الثاني عشر

### آل النبي وأهل البيت

أهل البيت :

قال تعالى في سورة الأحزاب : ( إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ) . وجاء هذا القول الكريم في معرض خطاب الله تعالى لنساء النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ( يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْنَ فَلَآ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا \* وَقرن في بَيْوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » .

وجاء بعد ذلك قوله تعالى : ( وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ) .

وقد اختلفوا في تحديد المراد بأهل البيت ، فجاء في تفسير الإمام القرطبي رضي الله عنه :

يراد به نساؤه ، وقيل يراد به نساؤه وأهله الذين هم أهل بيته ، وقال عطاء وعكرمة وابن عباس هم زوجاته بخاصة لارجل معهن ، وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : ( وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ) . وقال الكلبي : « هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة » ، وفي هذا أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واحتجوا بقوله تعالى : ( لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ ) . بالميم ، ولو كان للنساء خاصة

لكان ( عنكن ) و ( يطهركن ) إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على لفظ الأهل ، قال تعالى :

( أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ) .

وأضاف الإمام القرطبي قائلا :

والذي يظهر من الآية أنها عامة في جميع أهل البيت من الأزواج وغيرهم ، وإنما قال : ( ويطهركم ) لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلياً وحسناً وحُسَيْنًا كانوا فيهم ، وإذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر ، فاقترضت الآية أن الزوجات من أهل البيت لأن الآية فيهن ، والمحاطبة لمن يدل عليه سياق الكلام ، فكيف صار في الوسط كلاماً منفصلاً لغيرهن ، وإنما جرى في الأخبار أن النبي عليه الصلاة والسلام لما نزلت هذه الآية دعا علياً وفاطمة الحسن والحسين ، فعمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى كساء فلفها عليهم ، ثم ألقى بيده إلى السماء فقال : « اللهم هؤلاء أهل بيتي ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » ، فهذه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بعد نزول الآية أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج ، فذهب الكلبي ومن وافقه فصيرها لهم خاصة ولا اعتداد بقول الكلبي وأشباهه .

وأضاف الإمام القرطبي كذلك :

أما إن أم سلمة قالت : نزلت هذه الآية في بيتي ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فلخل معهم تحت كساء خيبري وقال : « هؤلاء أهل بيتي » وقرأ الآية وقال : « اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » فقالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟ قال : « أنتِ على مكانك وأنتِ على خير » أخرجه الترمذي وغيره ، وقال القشيري : وقالت أم سلمة : أدخلت رأسي في الكساء وقلت : أنا منهم يا رسول الله ؟ قال : نعم وقال الثعلبي هم بنو هاشم فهذا يدل على أن البيت يراد به بيت النسب ، فيكون العباس وأعمامه وبنو أعمامه منهم .

وجاء في تفسير « روح المعاني » للإمام الألوسي رضي الله عنه :

أخرج ابن سعد عن عروة : ( ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ) قال :  
يعنى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وتوحيد البيت لأن بيوت الأزواج المطهرات  
باعتبار الإضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بيت واحد ، وجمعه فيما سبق أو  
لحق باعتبار الإضافة إلى الأزواج المطهرات اللاتي كن متعددات ، وجمعه في  
قوله سبحانه : ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ) دفعاً  
لتوهم إرادة بيت النسب لو أفرِد من حيث إن سبب النزول أمر واقع فيه ، وأورد  
ضمير جمع المذكر في ( عنكم ) و ( يطهركم ) رعاية للفظ الأهل ، والعرب  
كثيراً ما يستعملون صيغ المذكر في مثل ذلك رعاية للفظ ، ومنه على ما قيل قوله تعالى :  
( قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ) ، خطاباً من موسى عليه السلام  
لامراته ، ولعل اعتبار التذكير هنا أدخل في التعظيم ، وقيل المراد هو صلى الله  
عليه وسلم ونسأوه المطهرات رضى الله عنهن ، وضمير جمع المذكر لتغليب عليه  
الصلاة والسلام عليهن ، وقيل المراد بالبيت بيت النسب ولذا أفرِد ولم يجمع كما  
في السابق واللاحق ، فقد أخرج الحكيم الترمذى والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم  
والبيهقى معاً في الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى  
عليه وسلم :

« إن الله تعالى قَسَمَ الخلق قسامين فجعلني من خيرهما قسماً ، فذلك  
قوله تعالى : ( وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ) ، ( وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ ) فأننا من  
أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسامين أثلاثاً  
فجعلني في خيرهم ثلثاً فذلك قوله تعالى : ( وَأَصْحَابُ الْمِيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمِيْمَنَةِ .  
وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ) ، فأننا من  
السابقين وأنا خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها  
قبيلة وذلك قوله تعالى : ( وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ  
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) ، وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر ، ثم  
جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى : ( إِنَّمَا يُرِيدُ

اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) ، وَأَنَا وَأَهْلُ بَيْتِي  
مُطَهَّرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ .

يقول الإمام الألويسي : فإن المتبادر من البيت الذي هو قسم من القبيلة  
البيت النَّسَبِي ، واختلف في المراد بأهله فذهب الثعلبي إلى أن المراد بهم جميع  
بنى هاشم ذكورهم وإناثهم ، أراد مؤمنى بنى هاشم ، وهذا المراد بالآل عند  
الحنفية ، وقال بعض الشافعية المراد بهم آل صلى الله عليه وسلم مطلقاً ، وأسرة  
الرجل على ما في القاموس رهطه أى قومه وقبيلته الأَدْنُون ، وقال في موضع آخر :  
صار أهل البيت متعارفاً في آل عليه الصلاة والسلام ، وصح عن زيد بن  
أرقم في حديث أخرجه مسلم أنه قيل له : من أهل بيته ؟ نساؤه صلى الله عليه  
وسلم ؟ فقال : لا - أَيْسُمُ اللهُ ، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم  
يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ، أهل بيته أصله وعصبته الذين حُرِّمُوا الصَّدَقَةَ  
بعده صلى الله عليه وسلم .

وفي آخر أخرجه هو أيضاً مبين هؤلاء الذين حُرِّمُوا الصَّدَقَةَ أنه قال : هم آل  
على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس .

### الدعاء لأهل الكساء :

وساق الإمام الألويسي حديث أم سلمة السابق الذي رواه الترمذى ، وقال  
بعده : وجاء في بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام أخرج يده من الكساء  
وأوماً بها إلى السماء وقال : « اللهم أهل بيتى وخاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم  
تطهيراً » ثلاث مرات .

وفي بعض آخر أنه عليه الصلاة والسلام أتى عليهم كساء فدكياً (١)

(١) نسبة إلى فذك بفتح الحين بلدة بينها وبين المدينة يومان بالإبل ، وهى ما أفاء الله على رسوله  
صلى الله عليه وسلم .

ثم وضع يده عليهم ثم قال : « اللهم إن هؤلاء أهل بيتي ، وفي لفظ آل محمد فأجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » .

وجاء في رواية أخرجه الطبراني عن أم سلمة أنها قالت : فرفعت الكساء لأدخل معهم ف جذبته صلى الله عليه وسلم من يدي وقال : « إنك على خير » ، وفي رواية أخرى رواها ابن مردويه عنها قالت : ألسنت من أهل البيت ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إنك إلى خير ، إنك من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم » .

### بيت السكنى والأهل :

ويقول الإمام الألويسي كذلك رحمه الله :

وقال بعض المحققين : المراد بالبيت بيت السكنى وأهله على ما يقتضيه سياق الآية وسبقها والأخبار التي لا تحصى كثرة ، ولا دلالة في حديث الكساء على الحصر ، ولا في الحديث الحسن أنه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال : « يا رب هذا عمي وصنوا أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتي هذه » ، فأمنت أسكفة<sup>(١)</sup> الباب وحوائط البيت فقالت آمين ثلاثاً .

### الملحقون بأهل الكساء :

وأضاف الإمام الألويسي يقول :

وجاء في بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام ضمّ إلى أهل الكساء - على وفاطمة والحسين رضي الله تعالى عنهم - بناته وأقاربه وأزواجه ، وصح عن أم سلمة في بعض آخر أنها قالت : فقلت يا رسول الله : أمّا أنا من أهل البيت ؟ فقال : « بلى إن شاء الله تعالى » ، وفي بعض آخر أيضاً أنها قالت له صلى الله عليه وسلم : ألسنت من أهلك ؟ قال : « بلى » ، وأنه عليه الصلاة والسلام أدخلها

(١) أسكفة الباب أي عتبة .

الكساء بعد ما قضى دعاءه لهم ، وقد تكرر - كما أشار إليه المحب الطبرى - منه صلى الله عليه وسلم الجمع وقول هؤلاء أهل بيتى والدعاء فى بيت أم سلمة وبيت فاطمة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما ، وبه جمع بين اختلاف الروايات فى هيئة الاجتماع ، وما جلت صلى الله عليه وسلم به المجتمعين وما دعا به لهم ، وما أجاب به أم سلمة وعدم إدخالها فى بعض المرات تحت الكساء ليس لأنها ليست من أهل للبيت أصلاً بل لظهور أنها منهم حيث كانت من الأزواج اللاتى يقتضى سياق الآية وسباقها دخولهن فيهم بخلاف من أدخلوا تحته رضى الله تعالى عنهم ، فإنه عليه الصلاة والسلام لولم يدخلهم ويتقبل ما قال لَسْتُوَهُمْ عَدَمَ دُخُولِهِمْ فِي الْآيَةِ لَعَدَمَ اقْتِضَاءِ سِيَاقِهَا وَسَبَاقِهَا ذَلِكَ ، وذكر ابن حجر على تقدير صحة بعض الروايات المختلفة الحتم على أن النزول كان مرتين ، وقد أدخل صلى الله عليه وسلم بعض من لم يكن بينه وبينه قرابة سببية ولا نسبية فى أهل البيت توسعاً وتشبيهاً كسلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : « سلمان منا أهل البيت » وجاء فى رواية صحيحة أن واثلة قال : وأنا من أهلك يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « وأنت من أهلى » فكان واثلة يقول : إنها لمن أرحى ما أرحو .

ثانى الثقلين :

ويضيف الإمام الألوسى قائلاً :

ما روى عن زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه من نفي كون أزواجه صلى الله عليه وسلم أهل بيته وكون أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده عليه الصلاة والسلام ، فالمراد بأهل البيت الذين جعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى الثقلين ، لا أهل البيت بالمعنى الأعم المراد فى الآية .

ويشهد لهذا ما فى صحيح مسلم عن يزيد بن حبان قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، حدثنا يا زيد بما

سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا ابن أخي : والله لقد كبرت سنّي وقَدِمَ عهدى ونسيتُ بعضَ الذى كنتُ أعمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما حدثتكم فاقبَلوا ومالا لا تُكَلِّفونيهِ ، ثم قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فإنا خطيباً بماء يدعى « حُما » بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال :

« أما بعد ألا يا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب ، وإني تارك فيكم ثِقَلَيْنِ أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغّب فيه ، ثم قال « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً ، فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حُرِّمِ الصدقة بعده ، قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس » الحديث ، فإن الاستدراك بعد جعله النساء من أهل بيته صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر في أن الغرض بيان المراد بأهل البيت في الحديث الذى حدث به عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وهم فيه ثانی الثقلين ، فلأهل البيت إطلاقاً يدخل في أحدهما النساء ولا يدخلن في الآخر ، وبهذا يحصل الجمع بين هذا الخبر والخبر السابق المتضمن نفيه رضى الله تعالى عنه كون النساء من أهل البيت .

وقال بعضهم إن ظاهر تعليقه نفي كون النساء أهل البيت بقوله : أيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العَصْرَ من الدهر ثم يُطلقها فترجع إلى أبيها وقومها يقتضى ألا يكن من أهل البيت مطلقاً ، فلهذا أراد بقوله في الخبر السابق نساؤه من أهل بيته ؟ أنساؤه بهمزة الاستفهام الإنكارى ، فيكون بمعنى ليس نساؤه من أهل بيته كما في معظم الروايات في غير صحيح مسلم ، ويكون رضى الله عنه ممن يرى أن نساءه عليه الصلاة والسلام لسنّ من أهل البيت أصلاً ولا يلزمنا أن ندين الله تعالى برأيه لا سيما وظاهر الآية معنا وكذا العرف .

## أهل القرابة والنسبة القوية :

وخلص الإمام الألوسى رضى الله عنه إلى قوله :

« والذي يظهر لى أن المراد بأهل البيت من لهم مزيد علاقة به صلى الله عليه وسلم ونسبة قوية قريبة إليه عليه الصلاة والسلام ، بحيث لا يقبح عرفاً اجتماعهم وسكناهم معه صلى الله عليه وسلم فى بيت واحد ويدخل فى ذلك أزواجه ، والأربعة أهل الكساء وعلى كرم الله تعالى وجهه مع ماله من القرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نشأ فى بيته وحجره عليه الصلاة والسلام فلم يفارقه ، وعامله كولد صغيراً ، وصاهره وآخاه كبيراً ، والإرادة على المعنى الحقيقى المستتبع للفعل .

« والآية لا تقوم دليلاً على عصمة أهل بيته صلى الله عليه وسلم الموجودين حين نزولها وغيرهم ، ولا على حفظهم من الذنوب على ما يقوله أهل السنة ، لأن المعنى حسب ما ينساق إليه الذهن ويقتضيه موقع التعليل للنهى والأمر نهاكم الله تعالى وأمركم ، لأنه عز وجل يريد بنهيكم وأمركم إذهاب الرجس (الذنوب) عنكم وتطهيركم ، وفى ذلك غاية المصلحة لكم ، ولا يريد بذلك امتحانكم وتكليفكم بلا منفعة تعود إليكم وهو على معنى الشرط ، أى يريد بنهيكم وأمركم ليذهب الرجس ويُطهركم إن انتهيتم واثمتم . والمراد بالرجس الذنب وبإذهابه إزالة مبادئه بنهذيب النفس .

« وكأن مال الإذهاب : التَّخْلِيَّة ، ومآل التطهير : التَّحْلِيَّة ، والآية متضمنة الوعد منه عز وجل لأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم بأنهم إن انتهوا عما ينهى عنه ويأثموا بما يأمرهم به يذهب عنهم لاحتماله مبادئ ما يستهجن ويُسحلهم أجل تحلية بما يستحسن ، وفيه إيماء إلى قبول أعمالهم وترتب الآثار الجميلة عليها قطعاً ، ويكون هذا خصوصية لهم ومزية على من عداهم من حيث إن أولئك الأغيار (١) إذا انتهوا وأثموا لا يقطع لهم بمحصل ذلك .

(١) غيرهم .

## أهل البيت وعبادة الله :

« ولذا نجد عبادة أهل البيت أتم حالاً من سائر العباد المشاركين لهم في العبادة. الظاهرة وأحسن أخلاقاً وأزكى نفساً، وإليهم تنتهي سلاسل الطرائق التي مبناها ، كما لا يخفى على سالكيها ، التحلية والتحلية اللتان هما جناحان للطيران إلى حظائر القُدُس ، والوقوف على أوكار الأُنس ، حتى ذهب قوم إلى أن القطب في كل عصر لا يكون إلاّ منهم ، خلافاً للأستاذ أبي العباس المرسي حيث ذهب كما نقل عنه تلميذه التاج ابن عطاء الله إلى أنه قد يكون من غيرهم .

« والذي يغلب على ظنّي أن القطب قد يكون من غيرهم ، لكن قطب الأقطاب لا يكون إلاّ منهم لأنهم أزكى الناس أصلاً وأوفرهم فضلاً » .

وأنت ترى مما نقلته لك من كلام الإمام الألويسي أنه قال قوله في الموضوع وأبدع فيما قال وفضل ، ولكنّي أتفق مع أهل السنة في أن السادة آل البيت محفوظون من الكبائر بعناية من الله تعالى ، فقد فطروهم على حبه وحب طاعته ، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، ويقول سيدي بن عطاء : إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب إليك وهو تعالى فعال لما يريد وقد قال سبحانه ( إنما يريد . . . ) وإنما أداة حصر ، وقد قال سيدنا يوسف عليه السلام : ( وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ) وقد اختص الله برحمته آل البيت ، والله يختص برحمته من يشاء ، ولا يتنافى ذلك مع جهادهم أنفسهم في التحلية التي تعقبها التحلية لأنهم ممن قال تعالى فيهم : ( يحبهم ويحبونه ) .

## الشيخ الأكبر وآل البيت :

وفي هذه المناسبة أمتع القارئ الكريم بروائع من كلام سيدي الشيخ الأكبر محيي الدين في الباب التاسع والعشرين من كتاب الفتوحات في شأن سادتنا آل البيت ، فقد قال عفا الله عنه :

لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً محضاً ، قد طهره الله وأهل بيته تطهيراً ، وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم ، فإن الرجس هو القذ عند

العرب ، هكذا حكى الفراء ، قال تعالى : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ) فهذه الآية تدل على أن الله قد أشرك أهل البيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ( ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ) ، وأى وسخ وقدر أقدر من الذنوب وأوسخ ، فطهر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالمغفرة ، فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهم ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سلمان منا أهل البيت » إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران ، فهم المطهرون اختصاصاً من الله وعناية بهم ، لشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعناية الله به ، ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة ، فإنهم يحشرون مغفوراً لهم ، وأما في الدنيا فمن أتى منهم حداً أقيم عليه كالتائب إذا بَلَغَ الحاكم أمره وقد زنى أو سرق أقيم عليه الحد مع تحقق المغفرة ولا يجوز ذمه ؛ وينبغي لكل مؤمن بالله وبما أنزله أن يصدق الله تعالى في قوله : ( ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ) فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت أن الله قد عفا عنهم فيه ، فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

ويقول سيدى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى رضى الله عنه فى حب آل البيت :

أرى حبَّ أهل البيت عندى فريضة على رغم أهل البُعْدِ يورثنى القُربا  
فما اختار خيراً الخلقِ منا جزاءه على هُدْيِهِ إلاّ المودة فى القربى

ويقول رضى الله عنه فى الباب ٦٩ من الفتوحات المكية عند كلامه على كيفية الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم التى بيّنها صلى الله عليه وسلم لأصحابه بقوله قولوا : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أى مثل صلاتك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم » .

« واعلم أن آل الرجل فى لغة العرب هم خاصته الأقربون إليه ، وخاصة الأنبياء وأهمهم هم الصالحون العلماء بالله المؤمنون ، وقد علمنا أن إبراهيم — عليه

الصلاة والسلام — كان من آلِه أنبياء ورسول الله ، ومرتبة النبوة والرسالة قد ارتفعت في الشاهد في الدنيا ، فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته نبيّ يشترع الله له خلاف شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولا رسول . . . فخفيت مرتبة النبوة في الخلق بانقطاع التشريع ، ومعلوم أن آل إبراهيم من النبيين والرسول الذين كانوا بعده مثل إسحق ويعقوب ويوسف ، ومن انتسل فيهم من الأنبياء والرسول بالشرائع الظاهرة الدالة على أن لهم مرتبة النبوة عند الله ، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحق أمته وهم آلِه العلماء الصالحون منهم بمرتبة النبوة عند الله وإن لم يشرعوا ولكن أبى لهم من شرعه ضرباً من التشريع فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد أي صل عليه من حيث ماله آل كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، أي من حيث أعطيت آل إبراهيم النبوة تشریفاً لإبراهيم ، فظهرت نبوتهم بالتشريع ، وقد قضيت ألاّ شرع بعدي ، فصل على وعلى آلِه بأن تجعل لهم مرتبة النبوة عندك وإن لم يشرعوا ، فكان من كمال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ألحق آلِه بالأنبياء في المرتبة ، وزاد على إبراهيم بأن شرعته لا ينسخ ، وبعضُ شرع إبراهيم ومن بعده نسخت الشرائع بعضها بعضاً ، وما علّمنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه على هذه الصورة إلاّ بوحي من الله وبما أراه الله ، وأن الدعوة في ذلك<sup>(١)</sup> مجابة ، فقطعنا أن في هذه الأمة من لحقت درجته درجة الأنبياء في النبوة عند الله إلا في التشريع ، ولهذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكد بقوله: « فلا رسول بعدي ولا نبي » فأكد بالرسالة من أجل التشريع ، فأكرم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن جعل آلِه شهداء على أمم الأنبياء ، كما جعل الأنبياء شهداء على أممهم. ثم خصّ هذه الأمة أعني علماءها بأن شرع لهم الاجتهاد في الأحكام وقرر حكم ما أداه إليه اجتهادهم وتعبدهم به وتعبد من قلدتهم به ، كما كان حكم الشرائع للأنبياء ومقلّديهم ، ولم يكن مثل هذا لأمة نبيّ ما لم يكن نبيّ بوحي مُنزّل ، فجعل الله وحي علماء هذه الأمة في اجتهادهم كما قال لنبية عليه الصلاة والسلام: ( لَتَسْحَكُنَّ بِسَيِّئِ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ) فالجتهاد ما حَكَمَ إلاّ بما أراه الله في اجتهاده، فهذه نفحات من نفحات التشريع

(١) أي طلب المؤمنين من الله أن يصل على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميه الله .

ما هو عين<sup>(١)</sup> التشريع ، فلآل محمد وهم المؤمنون من أمته العلماء مرتبة النبوة عند الله تظهر في الآخرة وما لها حكم في الدنيا إلا هذا القدر من الاجتهاد المشروع لهم ، فلم يجتهدوا في الدين والأحكام إلا بأمر مشروع من عند الله .

### الجمع بين الأهل والآل :

وأضاف رضى الله عنه يقول :

« وإن اتفق أن يكون أحد من أهل البيت بهذه المثابة من العلم والاجتهاد ، ولهم هذه المرتبة كالحسن والحسين وجعفر وغيرهم من أهل البيت ، فقد جمعوا بين الأهل والآل ، فلا تتخيل أن آل محمد صلى الله عليه وسلم هم أهل بيته خاصة ، ليس هذا عند العرب فإن الآل لا يضاف بهذه الصفة إلا لكبير القدر في الدنيا والآخرة ، ولذلك قيل لنا : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم أى من حيث ما ذكرناه لا من حيث أعيانها خاصة دون المجموع ، فهي صلاة من حيث المجموع ، وذكرنا إبراهيم عليه السلام لأنه تقدم بالزمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ثبت أنه سيد الناس يوم القيامة ، ومن كان بهذه المثابة عند الله كيف تحمل الصلاة عليه كالصلاة على إبراهيم من حيث أعيانها ، فلم يبق إلا ما ذكرناه<sup>(٢)</sup> ، وهذه المسألة هي عن واقعة من وقائنا فله الحمد والمنة . »

ومن ذلك ترى أن الشيخ الأكبر أدخل بإلهامه الغزير وفتح الفياض في آل البيت العلماء الربانيين الذين آتاهم الله رحمةً وعلمًا ، ولا حرج على فضل الله ، فإنه لا مانع لما أعطى ولا معطى لِمَا مَنَعَ ، غير أننا رأينا فيما سبق أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق سلمان الفارسي رضى الله عنه بأهل البيت بنص خاص . وكذلك أدخل واثلة بنص خاص في أهل البيت ، والمشاهد في واقع الأمر أن أهل البيت من الحسين والحسينيين على الخصوص هم أئمة أهل العلم

(١) أى أن المجتهدين في الأمة المحمدية إنما يجتهدون في إطار الشريعة المحمدية ولا يأتون بشرع جديد لأن مصدر اجتهادهم الكتاب والسنة .

(٢) أى صل على سيدنا محمد من حيث ماله آل لا من حيث شخصه كما صليت على إبراهيم وآله كما سبق أن بين ذلك رضى الله عنه .

والعمل في كل قرن ، وقد سادوا المؤمنين بطيب عنصرهم وطهارة نفوسهم  
وسخائهم وعظم جهادهم في سبيل الله عز وجل بالنفس والمال وزُهدهم الفطري  
في زخرف الدنيا وطرحها من قلوبهم ، فهم كما يصفهم العارف بالله سيدى الشيخ  
أحمد الحلوانى في قصيدته المسماة « الخلواء في مدح بنى الزهراء » .

بنفسى أفدى الزهر من بَصْعَةِ الزهرا	وإن هُم رضوانفسى فقد عَظُمَت قَدْرًا
هم الدينُ والدنيا لعمري هُم هُمُو	فقل فيهمو ماشئت لاترهبَن نُكْرًا
وعالِ بهم مَنْ شئت إن ذكروا العُلا	وفاخرهم مَنْ شئت إن ذكروا الفخرا
بدورُ سمت عن شمسٍ أكرم مُرسَلِ	أناروا دياجى الكونِ بالطلعة الغرَّا
وبالحلم والنَّدَى وبالبر والتَّقوى	وبالعلم والفتوى وبالذكر والذكري
ليهنن بنيه المجد نُظْم هكذا	نبيُّ الهدى فاطرب وحيدرُ والزهرا
بنفسى أهلُ البيت من مثلهم علا	وهم في عيون المجد نورٌ قد افترا
ومنذًا يُداني أو يُقارب بضعَةً	لهم تنتهى العلياء والرتبة الكبرى
محبتهم بابُ الرضا ورضاهمو	يُسام بأرواح المحبين لو يُشرى
فيا من يُواليهم ويحفظُ ودَّهم	ويُكرمُ مثوهم هنيئًا لك البشرى
فلا بد يومَ العرض تسمع قائلًا	تفَضَّلْ تفَضَّلْ فادخل الجنة الخَضْرَا

### رأى الفخر الرازى :

ويقول الإمام الفخر الرازى رضى الله عنه في تفسيره ما يأتى :

« في قوله تعالى : ( إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم  
تطهيراً ) يعنى ليس المنتفع بتكليفكن هو الله ولا تَسْتَفْعَن الله فيما تأتين به وإنما  
نفعه لِكُنَّ ، وفيه لطيفة وهى أن الرجس قد يزول عيناً ولا يطهر المحل فقوله  
تعالى : ( ليذهب عنكم الرجس ) أى يزيل عنكم الذنوب ، ويطهركم أى يلبسكم  
خلع الكرامة ، وأضاف : ثم إن الله تعالى ترك خطاب المؤنثات وخطاب بخطاب  
الذكورين ( ليذهب عنكم الرجس ) ليدخل فيه نساء أهل بيته ورجالهم ، واختلفت

الأقوال في أهل البيت . والأول أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين منهم وعلى لأنه كان من أهل بيته بسبب معاشرته بنت النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم . أقول وهو كلام بديع كما ترى .

وعند تفسيره لقوله تعالى في سورة الشورى : ( قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ) .

قال الإمام الفخر الرازي رضي الله عنه : نقل صاحب الكشاف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يُزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة ، ثم أضاف الإمام الرازي يقول :

« وأنا أقول : آل محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين يؤول أمرهم إليه فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد التعلقات وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل .

« وأيضاً اختلف الناس في الآل فقيل هم الأقارب وقيل هم أمته ، فإن حملناه على القرابة فهم الآل ، وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل ، فثبت أن جميع التقديرات هم الآل ، وأما غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل ،

فمختلف فيه ، وروى صاحب الكشاف أنه لما نزلت هذه الآية قيل : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ، فقال على وفاطمة وابناهما ؛ فثبت أن هؤلاء الأربعة أقارب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه :

« الأول : قوله تعالى ( إلا المودة في القربى ) ووجه الاستدلال به ما سبق .

« الثانى : لاشك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب فاطمة عليها السلام ، قال صلى الله عليه وسلم « فاطمة بضعة منى يرؤى ما رابها ويؤذى ما آذاها » وثبت بالنقل المتواتر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يحب علياً والحسن والحسين ، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله لقوله تعالى :

( وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ) . ولقوله تعالى : ( فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) ولقوله تعالى : ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) . ولقوله تعالى : ( لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ) .

« الثالث : أن الدعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قول المصلى : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحمهم محمد وآل محمد ، وهذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل .

« فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب - وقال سيدى الإمام الشافعى رضى الله عنه :

يا راكباً قيف بالحبص من منى  
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى  
إن كان رفضاً حب آل محمد  
كما قال رضى الله عنه :

يا آل بيت رسول الله حبكمو  
يكفيكمو من عظيم القدر أنكمو  
فرض من الله فى القرآن أنزله  
من لم يصل عليكم لاصلاة له

« وقوله تعالى : (إلا المودة في القربى) فيه منصب عظيم للصحابة ، لأنه تعالى قال : (والسابقون السابقون أولئك المقربون) فكل من أطاع الله كان مقرباً عند الله تعالى فدخل تحت قوله : (إلا المودة في القربى) . والحاصل أن هذه الآية تدل على وجوب حب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب أصحابه ، وهذا المنصب لا يسلم إلا على قول أصحابنا أهل السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة <sup>(١)</sup> ( أما مذهب الشيعة فخارج عما ذهب إليه أهل السنة والجماعة ) .

« وسمعت بعض المذكرين قال إنه صلى الله عليه وسلم قال : ” مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا “ وقال صلى الله عليه وسلم : ” أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم “ ونحن الآن في بحر التكليف وتضربنا أمواج الشهوات والشهوات ، وراكب البحر يحتاج إلى أمرين :

« أحدهما : السفينة الخالية عن العيوب والثقب ،

« الثاني : الكواكب الظاهرة والطلعة النيرة ، فإذا ركب تلك السفينة ووقع نظره على تلك الكواكب الظاهرة كان رجاء السلامة غالباً ، فكذلك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ووضعوا أبصارهم على نجوم الصحابة ، فرجوا من الله تعالى أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة . وقوله تعالى (إلا المودة في القربى) جعلوا مكاناً للمودة ومقرراً لها ، كقولك : لى فى آل فلان مودة ولى فيهم هوى تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله ، وقوله تعالى : (إن الله غفور شكور) الشكور فى حقه تعالى مجاز والمعنى أنه تعالى يحسن إلى المطيعين فى إيصال الثواب إليهم وفى أن يزيد عليه أنواعاً كثيرة من التفضيل ، ألا رضى الله عن إمامنا الفخر الرازى وعن علماء الأمة الأعلام .

من إلهام شيعى :

ويرضى الله عن شيعى العارف بالله سيدى الشيخ على عقل إذ قال فى سادتنا

(١) ويقول سيدى الشيخ أحمد الحلوانى الخليلجى رضى الله عنه فى هذا المعنى :

ألا إبنى فى حب آل محمد من الشيعة العليا ولكنى سنى  
طبعت على حب الصحابة كلهم كآل رسول الله من مبتدأ سنى

آل البيت رضوان الله عليهم في إلهامه الفورى الذى نقلناه عنه عندما طلب إليه أحد الحاضرين أن يأتي بأبيات على وزن البيت الآتى وقافيته (١) :

بنفس أفدى الزهر من بضعة الزهرا  
فقال توّاً طيب الله ثراه :

بنفس أفدى الزهر من بضعة الزهرا  
لقد غرسوني من زهور رياضهم  
إذا قيل لى تهواهم قلتُ ملىكهم  
إذا عشيت<sup>(٢)</sup> عيني فطيتُ جوانحي  
تساموا على كل الأنام فضائلا  
وعينا من القرآن سورة هل أتى  
قلو أن جود العاملين أقيسه  
جداول من بحر النبى محمد  
فإن كان ذنبى أن قلبى يحبهم  
وما أحسن الدنيا على صدق ودهم  
وها أنا مشتاق إليهم وسائر  
أحب وأستجدى وأهوى وأهتدى  
إذا نظرونى زال من قلبى الأسى  
على بابهم أسمو سمو- أولى النهى

بهم نلتُ كل الخير دُنْيَاى والأخرى  
فطابت حياتى من مكارمهم زهرا  
ووقف يمين لايباع ولا يشتري  
عيونُ تُربى سرّاً أنواهم جهراً  
وقد بين القرآن أوصافهم طهراً  
صفا سعيهم لله واستوجب الشكرا  
على جودهم يوماً لما مثل العسرا  
فما مثلها تلقى جداول أو بحرا  
فإن ذنوبى إن تلم بها حصرا  
وما أحسن الأخرى لتابعهم ذخرا  
على حبهم أنفقت سعى والعمر  
ولى لذة فى مدحهم تُشجج الصدرا  
وإن منحونى عشت أغترف الحيرا  
فإن هم رضوا نفسى فقد عظمتم قدرا

وقد طلب إليه آخر أن يُختمس له البيت الآتى :

هات النجوم أصغ بها أبياتى  
فقال توّاً فى روعة ظاهرة :

آل النبى تزايدت لوعاتى  
باطالِباً وصنى لهم بالذات  
لا تحرمونى الوصل قبل مماتى  
هات النجوم أصغ بها أبياتى  
إن المقام سما عن الكلمات

(١) يريد بهذا الطلب اختيار الإلهام الفورى الذى اشتهر به الشيخ من عطاء ربه لأوليائه ،  
ولى رسالة مطبوعة عنه رضى الله عنه بعنوان : شاعر الأولياء .

(٢) كان رضى الله عنه كفيف البصر .

## تحية الشاعر الصديق :

وقد كنت طلبت من الصديق الوفيّ الراحل المرحوم الأستاذ محمد جاد الرب  
أن يمدني بشيء من شعره الرقيق لأضمّنه كتابي « أم المؤمنين - السيدة خديجة  
الكبرى » وكان عفا الله عنه شاعراً مطبوعاً ، فقدم لي رباعية أثبتتها في ذلك الكتاب  
ومنها :

وقفنا بين أيديكم نحياً	على الأعتاب يا آل النبيّ
محمد النبيّ الهاشمي	نحياً بالصلاة على الصفيّ
على السبطين قرة كل عين	على الزهراء أم النيرين
على الأب في معاليه عليّ	حبيبتي روحنا : حسنٍ حسين
بكل سلالة البيت الأغر	بكم وبزينب طرّزت شعري
فياحظّ الفواصل والروى	وقفت عليكم شعري ونثري
بمكة أو بطيبة أو بمصرا	لقد باركتم الأقطار طراً
فطاب الكون بالعرف الشدي	مقامكم بها قد طاب نشراً
أناديكم وأنتظر الجوابا	على أبوايكم باباً فباباً
فإن رضاءكم شيبعي وربّي	لأدخل بالرضا تلك الرحابا
وسوف أموت منسوباً إليهم	نشأت وعشت محسوباً عليهم
وأسعدني بقرب سرمدى	فصّل عليهمو ربّي وسلّم